الشرطي والورق

اللغوي اذا عثر على لفظة يقلّب في اصلها ومعدنها ويتأملها بين عينيه او يطيب نفساً ويثلج صدراً كما وقع لي كثيراً حين . ومن اغرب الامور ان المستشرقين يبذلون شطراً صالحاً من اوقاتهم الثمينة لمعرفة اصول جميع الكلم الساميّة ولا سيما العربية . ولا نرى من ابناء العرب من يعنى بمثل هذا الامر . وقد رأيت نفراً كثيرين في هذا الموقف وهم من الناطقين بالضاد لا تراهم يخرجون عما جاء في كتب الاجداد والاوائل ولا يوردون من الكلام الا ما نقله الخلف عن السلف بدون ان يتعدوا كلام القائل ولا يمدوا النظر فيه اذا كان مصيباً في رأيه هذا او مخطئاً . ترى كتب اللغويين الحديثة لا تخرج عن كتب الاقدمين ولو انتهى هذا العهد بباحثي الافرنج من اللغويين المستشرقين تقدماً عظيماً وطفروا طفرة الاوربي في المباحث .

فالى متى نبقى في هذه الحالة المزرية في قالب الجمود او الركود ؟ أم لم يحن الآن الذي نكسر فيه قيود الاسر والرق ونتخلص من هذه السلاسل الضخمة التي قيّدتنا واستعبدتنا الى يومنا هذا ؟ بلى . لقد حان بل لقد فات الوقت كما فاتنا في امور جمّة ونحن في غفلة عنها وذهول .

على ان بعض كتّاب العصر حدوا يخطّئون علماء العرب من اللغويين باللغات الشرقية في مباحثهم وآرائهم ومذاهبهم وهم يخالفونهم وفي محاولة حتى كادوا يفوقونهم في بعض الابحاث . بيد ان بعضهم لم يزالوا يقلدونهم تقليداً اعمى حتى انهم اذا رأوا لفظاً غريباً لا يقول احد الشرقيين بالعلم او بمخالفة رأيه شيئاً منه ان الافرنج اذا اوتوا القوس اغرقوا فيها ولا بدّ ان يكون لهم في فهمها من عندهم ميزة كما لا يفوتهم معرفته . وهذا وهم ظاهر لكل ذي عينين اذا ما اراد ان يتروّى في الامر ادنى تروٍّ .

هذا وقد تحقق عدة شواهد اثبتت قولنا هذا . وفي وان كان يطول سردها جميعاً الا انه لا يجدر بنا ان لا نذكر منها بعضاً اثباتاً لقولنا واظهاراً للحق . فلفظة شرطي او شرطة مثلاً قال اللغويون انها عربية المذهب . ومنهم من قال انها عربية محضة ومنهم من انكر اصلها هذا وجاء ذكرت انها من معدن رومي او لاتيني وغيره من خالف هذه الآراء . وها نحن نورده من الشواهد .

قال في القاموس : « الشُرطة بالضم واحد الشُرَط كصُرَد وهم اول كتيبة تشهد

الحرب ويتهيأ للموت وطائفة من اعوان الولاة م وهو شرطي كتركي وجهني · سموا بذلك لانهم اعلموا انفسهم بعلامات يعرفون بها · اهـ · والى هذا الرأي ذهب السيد المرتضى · فزاد على ما سبق : قاله الاصمعي · وقال ابو عبيدة : لانهم أعدوا (اي اعدوا انفسهم لذلك واعلموا انفسهم بعلامات) · وبمثل هذا القول قال صاحب لسان العرب الخ وجميع اصحاب المعاجم اللغوية بدون ان يشذ واحد منهم · وتابعهم في ذلك لغويو الافرنج أصحاب المعاجم العربية الافرنجية كغوليوس وفريتاغ وفزميرسكي ولين وغيرهم ·

على ان هذا الرأي لا يمكن ان يتمسك به اللغوي · والسبب هو : لو كان الحرف مأخوذاً من الشرط لقالوا فيه « شارط » كضابط مثلاً من الضبط · او « مشترط » كملتزم · او نحو ذلك من المشتقات الدالة على الفاعلية لا شرطي بضم ففتح او بضم فسكون بل وكيف قالوا الشرطة · فلا شك ان اللغوي المتتبع حقائق الاصول ودقائق الفصول لا يقنع بهذا القول غير المعقول · نعم ولا جرم لمن الالفاظ الدخيلة وقد انتبه لها المستشرقون · واول من ذهب الى هذا الرأي فرنكل الالماني صاحب كتاب الالفاظ الارمية في اللغة العربية اذ قال : والاحسن اني احب ان يقول علماء العربية انها كلمة مصرية يونانية من Cohors او لعلها اليونانية (Chortho =) وتابعه في ذلك الاب لامنس اليسوعي في كتاب الفروق اذ يقول : « من المحتمل ان يكون معرباً عن Cohors مثل كردوسة » ·

قلنا : وهذا ايضاً لا يمكن ان يكون صحيحاً لان هذه اللفظة الاجنبية ان كانت مصرية يونانية او رومية محضة فهي لا تدل الا على طائفة او جماعة من العسكر او الجند ولا ترد بمعنى المفرد · والحال ان صح هذا الكلام عن الشرطة فلا يصح عن الشرطي فيجب ان تكون اللفظة الاصلية المنقولة عنها مفردة ليصح فيها التعريب او النقل عنها بصورة المفرد · وهذا يصح اذا قلنا انها تعريب اليونانية (Stratiwthe) وبالفرنسية (Stradiot او Estradiot) وهي بمعنى الشرطي العربية كما ان الشرطة هي تعريب (Stratia as) ويراد بها كتيبة الرجال او الجيش الزاحف الذي يشهد الحرب ويتهيأ للموت · او من (Stratos) بعينها

ومن هذا القبيل كلمة ورق والرقة المراد بهما الدراهم المضروبة · فقد قال الفيروزابادي : الورق مثلثة · وككتف وجبل : الدراهم المضروبة ج اوراق ووراق كالرقة ·

وزاد صاحب التاج : قال ابن سيدة : وربما سميت الفضة ورقاً . يقال اعطاه الف درهم رقة لا يخالطها شيء من المال غيرها . وقال ابو الهيثم : الورق والرقة : الدراهم خاصة . وقال شمر : الرقة : العين ، ويقال هي من الفضة خاصة . ويقال الرقة الفضة والمال . عن ابن الاعرابي . . . الى آخر ما هنالك من الكلام الدال على ان الورق عندهم من الاصل العربي الصحيح الصريح حتى انه لا يخطر على بال لغويي العرب انها دخيلة في لسانهم . ولا يهم في ذلك لغويو الافرنج ايضاً اصحاب المعاجم العربية ولم يرتابوا في عجمتها او في عربيتها اذ قلدوا العرب في اغلب الاحيان ان هذه [illegible] الى لغتهم .

واول من نبه لعجمتها في العربية فرنكل اللغوي الالماني المذكور اذ ذكر انها من الارمية (بروق) او من الحبشية « رقة » . قلت : ونسبة كلتا اللفظتين لم ترد اللفظة في الاصل على ما يقال انها بمعنى الفضة في اول وضعها لا يحتمل ان الحبش اخذوا هذا المعنى عن العرب انفسهم .

وممن قال بعجمتها ايضاً الاب لامنس اليسوعي في كتاب الفروق ص ٢٦٠ [illegible] حاشية . ومما نص كلامه : « وفيه (اي الورق بمعنى الدراهم المضروبة) ثلاث لغات اخرى (كذا والاصح اربع لغات اخرى) : الورق . والورق . والرق (ووزنها) وزن كتف . ولا اصل عربي لها ولم يوجد في الكلام القديم » اه . (كذا . ولا ندري لم قال هذا القول . لان لفظة الورق وردت في شعر ثلمة السدوسي وفي الحديث وفي شعر خالد بن الوليد وفي كلام كثيرين من الاقدمين عند مطالعة دواوينهم .)

اما الصحيح عندي ان الورق من الفارسية تعريب « برة » بالفارسية مثلثة الباء في الاول ثم راء . وفي الآخر هاء غير ملفوظة . ويقال لها ايضاً پاره بمعناها . ويراد بها مطلق القطعة وتخصص بقطعة الفضة المضروبة كما هو معنى البارة عندنا قبل خمسين سنة . ثم عوض عن البارة الفضية بارة نحاسية وبقي الاسم عليها وان تغيرت المادة التي احدث منها .

هذا وانت تعلم ان الهاء الفارسية في الآخر تنقل الى القاف او الكاف او الجيم او الهاء في العربية . وقد صرح بذلك اغلب المعربين كما في ابرنج و ودعة و ورق و بيرك واصلها بالوده وبرزه وبوره ونيزه واما الباء الثقيلة الفارسية فتكون اما زنبقة . واما مجرة واما ارقيقة ومجهمة ... فان كانت زنبقة تنقل الى الواو بالعربية

او الياء الموحدة التحتية كما في باوج ووشق اصلها باوج وباشه واذا كانت مفخمة فتكون فاء في العربية كما في فارس واصفهان وان كانت بين المفخمة والمرققة فهي تكون تارة باء، وطوراً واواً واخرى فاء مثل قبان فيقال فيها بابان وقبان. قال الاصمعي: قبان: قبان بالباء التي بين الباء والفاء اعربت باخلاصها فاء وقد يجوز اخلاصها باء لان سيبويه قد اطلق ذلك في الباء التي بين الفاء والباء (التاج في قفف) ومعنى قفان كل شيء: جماعه واستقصاء معرفته .

وعليه قالوا في پره : ورق . وفي پاره : پاره . لكن لما توهم العرب ان الورق مشتق من ورق بل وانها مصدر ورق اجازوا فيها الوجهين فقالوا فيها ورق ورقة كما قالوا وعد وعدة .

واغرب من هذا انهم جمعوا رقة على رقين كما قالوا في ارة: ارين . وقوم من العرب توهموا الجمع مفرداً ووزنوه على فعيل بفتح الاول فقالوا الرقين وفسروه بالدرهم والرقم ولعل الرقم ورد بهذا المعنى ايضاً تصحيفاً للرقين بالنون وهم يكثرون مثل هذا الابدال في آخر الالفاظ كقولهم: الايم والايين . الغيم والغين . اسود قاتم وقاتن . الحزم والحزن . البنان والبنام . الأتم والأتن . ومثل هذه الالفاظ تعد بالمئات .

فانظر حرسك الله كيف يتلاعب العرب بالالفاظ وكيف تتسع اللغة عندهم . وكيف يبعد مجرى الكلام عن ينبوعه ومصدره ويكاد ينسيك الاصل الذي اخذ عنه . كل ذلك من الاسرار الغامضة يتلذذ بالاطلاع عليها كل من له ذوق بهذه اللغة الشريفة البعيدة الغور

واذ قد اطلعت على اصل لفظة الورق وعلى انها من الفارسية علمت علم اليقين ان معناها كل قطعة من قطع المسكوكات كما تقول الفرنساوية pièce de monnaie ثم اطلقت على دراهم الفضة او على مطلق الدراهم ان فضية او ذهبية او نحاسية بشرط ان تكون قطعة معدن مضروب لا غير .

هذا ما اردنا ايراده في هذا الباب ولنا عدة شواهد من هذا القبيل

بغداد ساكنا